

وعي الوظائف الوالدية



تقود الفطرة السليمة صاحبها للاهتمام بعياله ورعايتها انطلاقاً من نداء الفطرة الإنسانية العميق في ذاته، وتُحِمِّل التعاليم الدينية الآباء مسؤولية العناية بالأبناء والاهتمام بهم ورعايتهما مصالحهم.

إنَّ القيام بوظائف الأبوة يعود على الوالدين قبل غيرهم بالمنافع الجمة الكثيرة، وكذلك على الأسرة والمجتمع والعكس صحيح، إذ إنَّ التخلِّي عن تلك الوظائف يعود بأفجح الأضرار على الأبناء والأسرة والمجتمع. وتتلخص مسؤوليات ومهام الأبوة في أربعة محاور رئيسية: الأوَّل: توفير الحاجات المعيشية: فالآب مسؤول شرعاً عن النفقة على عياله وتلبية احتياجاته المختلفة من مأكل وكساء، وماوى، وعلاج وغيره مما هو متعارف عليه في مجتمعنا. وقد جعلت الشريعة الإسلامية مهمة الكد على العيال مهمة جليلة، ورفعت من منزلة الكاد على عياله إلى مصاف المجاهدين في سبيل الله وفي بعض الروايات أعظم أجراً منهم، يقول الرسول (ص): "الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله". ويقول حفيده الإمام الكاظم (ع): "إنَّ الذي يطلب من فضل يكف به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله". ومن الواضح أن مسؤولية الأب تجاه أسرته تدفعه بشكل تلقائي لتحمل مشاق العمل والسعى لإكتساب المال والبحث عن المزيد. الثاني: ضبط النظام داخل الأسرة: تحتاج كلَّ مؤسسة إلى مدير ومدير، والأب المسؤول الأوَّل

عن فرض النظام داخل البيت، والفصل في الخلافات والنزاعات بين أفراد الأسرة وتفهم وتتبع سلوك أفراد الأسرة في داخل البيت وخارجها، ومحاسبة كلّ فرد على أخطائه وتنفيذ العقاب الملائم بحق المقصّر منهم لتنمية حس المسؤولية بين أفراد الأسرة ورفع درجة المراقبة الذاتية لديهم لابتعاد عن مواطن الخطأ والزلل، كلّ ذلك يتم بالكلمة الطيبة، والرفق بالأبناء وللطف بهم، والابتعاد عن وسائل العنف المختلفة. الثالث: التوجيه والإرشاد: من المؤكد أن توجيهه وإرشاده أفراد الأسرة من المسؤوليات الأهم على الإطلاق، ذلك أن لها أثراً طيباً على سلوك الأبناء، وهو غذاء تربوي معنوي يعزز في نفوسهم القيم الأخلاقية، ويربّي فيهم الفضائل والصفات الطيبة، وينمي فيهم الوعي اللازم لإدارة حياتهم بشكل سليم. إنَّ الكلمة الطيبة والإرشاد الحكيم من وظائف ومهام الوالدين، والأب بالدرجة الأولى هو المعنى بذلك كما ترشد التعاليم الدينية إلى ذلك. ففي المجال التربوي نلحظ هذه الإرشادات القيمة، يقول الرسول الأكرم (ص): "أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم". ويقول (ص): "ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن". وفي مجال العلم والمعرفة تؤكد الروايات الشريفة على أهمية إكساب الأولاد المعرفة والعلم، يقول الإمام علي (ع): "مرروا أولادكم بطلب العلم". كما تشير المعارف الدينية إلى أهمية تعليم الأبناء المهارات العملية وتنميتها، يقول الرسول الأكرم (ص): "علِّموا أولادكم السباحة والرماية". وكذلك الأمان العقدي والفكري له مكانته إذ تطالب الإرشادات الدينية الآباء بتحصين الأبناء وأفراد الأسرة من الانحرافات العقائدية والفكرية والتصدي لمهمات الأمان الفكري، يقول الإمام علي (ع): "علموا صبيانكم من علمنا ما ينفعهم إلَّا به لا تغلب عليهم المرجئة". الإرشاد الديني كما لا تغفل التعاليم الدينية دور الأب في التوجيه الديني وإرشاد الأبناء إلى القيام بوطائفهم الشرعية، يقول الرسول الأكرم (ص): "مرروا أولادكم بالصلة وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المصالح". وفي رواية أخرى يقول الإمام الصادق (ع): "إنا نأمر صبياننا بالصيام إذا كانوا بنى سبع سنين بما أطقوها من صيام اليوم. الرابع: إشباع الحاجة المعنوية والعاطفية: يحتاج الأبناء إلى الرعاية النفسية والعاطفية، وذلك يتم بالقرب منهم والانفتاح عليهم والتواصل معهم، وتحسّن احتياجاتهم، ومعرفة همومنهم، وتطييب نفوسهم، وحفز هممهم، وشد أزرهم، ومساعدتهم على تجاوز مشكلاتهم والصعوبات التي تعرّض حياتهم، وتحرّي عثرة لهم، والصبر على أخطائهم، ومساندتهم بكل قوّة وإصرار على تخطي إخفاقهم وفشلهم مصدر رحب ورحمة أبوية واسعة تفيض منها المشاعر والأحاسيس بلا حدود، و تستوعب كلّ تجاوز وعقبة. ومن الخطأ الفادح أن يركز الآباء جهودهم على الجانب المادي، ويهمّلون الجانب المعنوي والعاطفي، إذ يجب أن يحظى الجانب النفسي والعاطفي باهتمام خاص، إن كلمة حانية رقيقة تلامس مشاعر الأبناء لا تقدر بثمن، وتفوق كلّ تقدير مادي، وهذا لا يعني بالطبع أنَّ الجانب المادي لا تأثير له ولا حاجة

له بل إنّ المال والمشاعر الطيبة كلاهما مطلوبان ومهما في موضعهما المناسب. وبالرغم من أن تحصيل المال والكد على العيال واجب شرعى، إلا أنّ التطرف في الركض وراء الثراء بعيداً عن القيام بالمهامات الأسرية قد يؤدي إلى ما يحمد عقباه وإلى الشقاء وتعاسة الأب قبل غيره، وترافق الاهتمام على قلبه جراء ما قد يحدث من انحراف أو جنوح لأحد أفراد أسرته بسبب انشغاله وبعده عنهم، فسعادة المرأة بسعادة عياله، وإن ملايين الدولارات التي يجنيها الأب لا تعدل شيئاً في مقابل سعادة واستقامة عياله والتي تدخل عليه السرور والطمأنينة عندما يرى فيهم الصلاح والإستقامة، كما أن خسارة الأولاد لا سمح الله أكثر إيلاماً للنفس من خسارة الملايين. إنّ النجاح الحقيقي في عالم المال هو ذلك النجاح الذي لا ينتج عنه خسائر أخلاقية أو معنوية في دائرة الأسرة والعيال، فكم من ناجح شغل الدنيا بثروته في الوقت الذي تشكو أسرته من جفائه وقوته وبعده عنهم تاركاً إياهم يغرقون في مشكلاتهم المختلفة. وما ينبغي التأكيد عليه أنّ السعي نحو تنمية الثروة بالطرق المشروعة أمر محبد وحسن لا ينكره أحد، وإنما الذي ينكره كلّ العقلاء أن ينشغل الآباء بالتلويع في الثروة على حساب عيالهم وأسرهم. وهناك صنف آخر من الآباء يتسببون في إيذاء عيالهم نفسياً وعاطفياً ويحرمونهم من العطف والحنان عندما يكونون بعيدين عنهم نفسياً وروحياً، ويهملون أسرهم لا لشيء إلا خلوداً للراحة واستسلاماً للدعة والترهل وبعيداً عن تحمل المسؤولية الأسرية التي تتطلب جهداً مستمراً.. فقد يقضي بعض الآباء أوقاتاً كثيرة في السهر مع الأصدقاء والأقران، ويضيعون طاقاتهم وجهدهم في القيل والقال.. على حساب واجباتهم الأسرية. أليست تلك حالة سلبية يدفع الآباء والأسرة والمجتمع من ورائها فاتورة باهظة الثمن، فماذا يُنتظر من أسرة تفقد عائلها، وماذا يرجى من أولاد لا يحصلون على أي قسط من التوجيه والمشاعر الأبوية الدافئة، وماذا يتوقع من أسرة يتيمة مع وجود الأب، فحضوره وغيابه سواء، لا يهتم ولا يراقب، ولا يرشد، ولا يفيض من مشاعر الأبوة على أفراد أسرته ولا... ولا... إنّه ميت الأحياء، وجوده في البيت صوري، لا يحرك ساكناً، ولا يكلف نفسه عناء أبداً.. تلك صورة الأب السلبي إن غاب عن أسرته لا أحد يسأل عنه، وإن حضر سجل غائباً!! مسؤولية الأم: والأم هي الأخرى تلعب دوراً فعالاً ومميزاً في احتضان الأبناء، فهي كتلة من الأحاسيس الرقيقة المتدفعقة، وهي غالباً مستودع أسرار الأبناء ومحل ثقتهم، ومحط هموهم، وكلماتها الدافئة بلسم لجراحهم، كلّ ذلك يحدث عندما تكون الأم قريبة من أبنائها، لطيفة بهم وبقضاياهم، حريصة على أن تكون معهم، تشارکهم تطلعاتهم وأمنياتهم. بيد أن بعض الأمّهات تخلّين عن ذلك الدور المؤثر والمصوري، دور الملائكة الأول والحسن الدافئ، وتركن (المحمل بما حمل) وخرجن يتسكنن في الأسواق من غير حاجة للتسوق، وقضاء أوقات مبالغ فيها في جلسات الدردشة، ولا سيما وراء الفضائيات والمسلسلات التي لا تنتهي، والحضور المفرط في المناسبات

الاجتماعية التي تمتد إلى ساعات الفجر! وعندما لا تجد الأُمّهات فائضاً من الوقت للاهتمام بالعيال فسيحدث ذلك انفصلاً نفسيًا وعاطفياً بين الأم وأبنائها، ويترك ذلك آثاراً سلبية على مسیرتهم في الحياة. المصدر: كتاب أريد حُبّاً